فى التربية والتعليم

القدوة وأثرها فى التربيـــة

بقلم الاستاذ محمود الخفيف

أستاذ الآداب بالمعهد الأزهرى

تعتبر القدوة عند المربين من أهم وسائل التربيـة ومن أعظمها أثراً فى تكوين الخلق ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وعلة ذلك أن الطفل مطبوع منذ نعومة أظفاره على المحاكاة مسوق إليها دون شعور منه بما يفعل ، أو اختيار منه فيما يأخذ أو يدع من الأمور

على أن أثر القدوة لا يقف عنـد مرحلة الطفولة ، فأنا نرى هذا الأثر القوى يتحكم فى جميع أطوار الحياة . بيـد أنه فى الطفولة أبعـد مدى وأعظم خطراً ، فأن ما يغرس فى نفس الطفل ، وما ينطبع فى ذهنه من المعانى فى تلك الفترة ، لا سبيل إلى محوه أو تغييره مدى الحياة ، فيكبر الخلق الموروث وينمو بنمو الطفل ، كالنقش المنحوت فى جذع الشجرة لن يمحوه نموها ، بل يزيده وضوحا واتساعا

وللقدوة فى الطفولة بيئتان أساسيتان : المنزل والمدرسة ، ففى المنزل يقتدى الطفل بوالديه وبمن هم أكبر سنا منه ، وفى المدرسة يقتدى بأساتذته وسواهم من الرؤساء والمربين

ولا شك عندى أن الأثر الذى يتركه سلوك الوالدين فى المنزل والمربين فى المدرسة أشد سلطانا وأقوى فعلا من جميع ما يتعلم الطفل من النصائح أو يقرأ من الكتب ، ولعمرى لموقف واحد من مواقف النبل خير من ساعات ملؤها العبارات الجوفاء والمواعظ المملولة

التي يدعو تكرارها إلى النفور منها ، وتساعد طريقة إلقائها على ابتذالها والاستخفاف بها كما أن لحظة قصيرة تبرز فيها الرذيلة قد تترك وراءها من الشر فى القلوب البريئة ، ما لم يكن فى حسبان أحد ، ومما لا سبيل بعد إلى تلافيه ، كالجراثومة تعلق بالبدن الصحيح فتودى به على صآلتها ، ويعيى استئصالها كل حيلة ، وتعجز كل علاج

وإنى لأثبت هنا أن الدعوة إلى الفضيلة ما لم يكن لها سند من القدوة بناء على الرمل ، ونقش على الماء ، بل ليت الأمر قاصر على هذا ، فأن مثل هذا العمل فضلا عن قصوره ينقلب فيصبح شرا مستطيرا ، ورداء وبيلا ، فهو مدعاة إلى النفاق ، وسبيل إلى اختلال الضمير وسقم الوجدان

صور لنفسك رجلا يدعو إلى مكارم الأخلاق . كالصدق والشجاعة والعدل مثلا ، وهو بعد معروف عند من يدعوهم بالكذب والجبن والتحيز ! هل يصدق كلامه مهما أوتى من البلاغة ، ومهما رزق من حسن الألقاء إلى قلبك ؟ وهل يزيدك قوله إلا نفورا ؟ . وإنك لتستصغر شأن الأخلاق إن كنت لا تزال بعد صغيرا ، وتراها أمرا « رسميا » هينا تعتاد سماع حديثها فى المدرسة والدعوة إليها فى الكتب ، ثم لا تجد لها فى الحياة من أثر ؛ فقد تنشأ هذه الفكرة معك دون وعى وتستقر فى نفسك وإن ذلك لهو الداء الوبيل

ذلك هو النفاق الذى نعانى منه الالتواء فى السياسة ، والمروق فى الأدب ، والغش فى الصنعة ، والأثرة فى الاجتماع ، واللؤم فى المصاحبة ، والمراءاة فى الدين

ولو أننا وجدنا القدوة الحسنة فى منازلنا ومدارسنا ، لأحسسنا أثرها الطيب فى نواحى حياتنا ، دون حاجة منا إلى كثير مما تقوم به اليوم من الدعوة إلى تهذيب الخلق ، فى شكوى كأنها اليأس ، وفى وفرة كأنها الأملاق

إذا كان للقدوة مثل هذا الشأن أمكننا أن ندرك ما يترتب على سلوك المدرس ، وما ينبنى على شخصيته من خير أو شر . نعم فالمدرس الصالح تتكرر حياته فى النابهين من طلابه وكم من أناس فرغوا من التعليم وتركوا المدرسة فلم يبق فى أذهانهم إلا صورة قوية لمدرس صالح أثر فى نفوسهم فأشربت قلوبهم محبته ، ودرجوا على خلاله فى الحياة ، وأصبحت الصلة الروحية بينهم وبينه أقوى من أن تنال منها الأيام ، وأية نتيجة فى التربية أعظم وأفضل من هاتيك النتيجة ؟ بل ما عمل المدرس والمدرسة إن هى لم تخرج إلى المجتمع مثل هؤلاء الرجال الذين صلحت أخلاقهم وعظمت نفوسهم ؟

وذلك الجانب الخطير من حياة المدرس فى المدرسة أولى بأن يكون له القسط الأوفر من اهتمام القائمين بالتربية ، أما أن ينظر إلى البرامج ونظام الدروس ونظافة المدرسة وما سوى

ذلك من الأعمال التي يعنى بها المربون دون الاهتمام بما تبعثه حالة المدرس في نفوس طلابه ؛ فتقديم للعرض على الجوهر ، وتمسك بالقشور دون اللباب

على أن المدرس الذي يفهم رسالته حق الفهم ، ويدرك معنى مسئوليته التي فرضتها عليه مهنته ، ومقدار الخدمة التي يستطيع أن يقدمها إلى وطنه بواسطة تلك المهنة : غنى عمن يوجهه ويرشده ؛ فهو بفطرته ولقائته سالك هذا السبيل القويم

وينبغي أن نتذكر هنا أننا معشر المدرسين نؤدي عملا مزدوجا في الحقيقة : وبثابة أول من يتناول الأطفال منا ، فالمنزل عندنا في معظم الحالات يكاد يكون خلواً من القدوة الحسنة إن لم يكن مباءة للشر ومثابة للرذيلة ؛ ولذلك نرى مهمتنا مزدوجة أيضا ؛ فنحن نعمل على إيجاد المنزل الطيب والرجل والمرأة الصالحين

وعندي أن المدرس يجب أن تقاس أهليته بخلقه أولا . ثم يأتي بعد ذلك علمه ؛ وعلى الأخص في المرحلة الأولى من التعليم ، حيث يحتاج الأمر إلى كثير من الخلق وقليل من العلم ؛ فهذه المرحلة — كما سبق لي أن ذكرت — أساس كل شيء عندنا في التعليم ؛ ومن ثم فهي أجدرها بعناية المصلحين وأبحاث المربين

وإنا لنجعل المدرس رقيبا شديدا إذا جعلناه وحده المطالب بكل شيء ، والحق أننا يجب أن نتجه إلى أولى الأمر ، ذاكرين أنه ما دام المدرس الصالح عدتهم فيما يبتغون من خير وما يتمنون من إصلاح ؛ فطبيعة الأمور تقضي بأن يكون له أيضا الجانب الأوفر من عنايتهم إذ الواقع أن المدرس مهما كمل خلقه لن يصل إلى الكمال المنشود إلا إذا توفرت لديه الوسائل التي تحبب إليه عمله ، وتشعر نفسه بالعزة والكرامة

نعم يجب أن يكون المدرس قدوة على أن يحسن مظهره وهندامه إلى جانب خلقه ونفسه ما دام أنه في مقام القدوة ، فيبسط له الرزق ، ولا يضن عليه بما يستحق ، ففي ذلك صلاح حال التعليم ؛ وليت شعري أيهما أولى بالاتفاق ، نظافة البناء ، أم معيشة المدرس ؛ وأيهما أبعث على احترام الجو العلمي . رونق الفصل أم كمال المعلم ؟

أهيب بالمربين أن يعتمدوا في التربية على القدوة الحسنة ، وأن يعملوا على إيجاد المدرس الصالح ذا الخلق المحسن ؛ وأهيب بالمدرسين أن يتدبروا ما يترتب على القدوة من نتائج ، وأن يفطنوا إليها في كل ما يأتون من عمل ، إن كانوا يريدون أن يؤدوا مهمتهم على وجهها الصحيح ، وأنا بعد ذلك بشير للمجتمع بالرقي والفلاح ؟

محمود الخفيف

الفكر والتفكير

بقلم الأستاذ الدكتور على العنانى

المدرس بدار العلوم

١ — نشأة الفكر :

المعانى الحاصلة فى ذهن الانسان على اختلاف ضروبها تأخذ مراكزها فى المخ والمخيخ ويحدث بعضها فى النفس عن الحسات والمدركات الخارجية من طريق المشاعر الخمسة والجهاز العصبى بعد مرورها فيه طرداً إلى المخ وعكساً إلى الحواس . ويتكون بعضها الآخر من الأطهام والخيال ، والصور المدركة بواسطة الحواس والأعصاب تسمى بالمدركات الخارجية لورودها إلى الذهن من الخارج المحسوس ، والمعانى الأطهامية الخيالية تسمى بالتصورات الداخلية لقيامها من الداخل فى النفس وحدوثها من الأطهام أو الخيال فى الروع .

ومراكز الحسات والمدركات الخارجية المادية وقوى هذه المدركات المعنوية موجودة فى مخ الانسان من يوم نشأته وبروز مادته إلى الحياة ، وإن كانت فى بدء الطفولة الأولى كامنة فى العموم ، وهى تبرز فيه شيئاً فشيئاً وتظهر آثارها بالتدريج تبعاً لذلك . وتنمو قليلا قليلا بنموه المادى حتى يبلغ أشده فيبلغ رشده العقلى . وقوى المعانى الخيالية والأطهامية موجودة فى ذهن الانسان أيضا بالفطرة والاستعداد وتظهر بظهور قوى الأحساس وتنمو عادة بنموها وكثيراً ما تأتى فجأة وتبرز قوية كما تكون أيضا ضئيلة وإن قويت قوى الأحساس .

والصور الخارجية الواصلة من الخارج إلى الذهن والمعانى الداخلة الفائضة من النفس تكون عناصر الفكر وتبرز موضوعه .

والفكر فى الانسان لا يقف تياره لحظة واحدة ما دام فى يقظة لم يغمره النوم على أنه فى حالة النوم قد يظهر فى صور الأحلام .

ومدد الفكر الانسانى إما أن يكون من المدركات الخارجية فى الحال أو من الصور المحفوظة فى الحافظة والمودعة فى الفكرة أو من الأطهام المفاجىء وفيض الخيال الذى لا توجد له صورة فى الخارج أو له مثال فيه .

واعمال الفكر هو التفكير المؤدى إلى حصر التصورات الذهنية فى صور مرتبة وضبط التصديقات المنطقية حتى تنتهى نتائجها إلى مدركات أولية وأحكام بدهية .

والتفكير إذا أهملت نتائجه مرت بذهن الانسان دون أى انتفاع بها وإبراز أى مجهود

عقلي لها ، وكان هذا التفكير ماديا بسيطاً وصاحبه إنسان ساذج بسيط ، أما إذا قدرت هذه النتائج وعرفت أغراضها وتوجهت العناية إلى غاياتها كان التفكير منتجاً ، وكلما اتسعت دوائره الفنية العلمية أنتج مجهوداً عقلياً فى خير الإنسانية وسعادتها ، وأخذ صاحب هذا المنظم المنتج مكانة سامية وتقديراً عظيماً بين معاصريه وفى تاريخ التفكير الإنسانى وعد من قادة الفكر . وأسمى مكانة يصل إليها الإنسان فى هذا السبيل هى مكانة الفلاسفة . وزعماء الديانات وعلماء الاجتماع .

٢ — نشأة التفكير الإنسانى :

أشرنا إلى أن الفكر يسبق التفكير وأن الثانى ينشأ عن الأول والآن نعرض إلى العوامل التى تبرز التفكير من الفكر .

كما أن الطفل يولد بطبيعته وفطرته مفكراً والفكر ينمو فيه بنموه المادى ، فكذلك التفكير موجود فى النوع الإنسانى بحكم وجود الفكر فيه ، وهو فيه من حيث النشأة والتطور كالفكر فى الإنسان الفرد . فالإنسان وهو مفكر بطبيعته على ما يظهر من فطرته الأولى لم يدرك الأشياء والصور والحوادث التى وقعت تحت نظره وهو ساذج بسيط بقوته الفكرية وبعقله الكامن فى ذهنه وفطنته بل أدركها أولا بمشاعره المودعة فيه .

وقد كان ذلك الإدراك الأول عاملا فى ظهور العقل من القوة إلى الفعل وفى تحريك قوة التفكير ، فالعين قد أدركت المرئيات الموجودة أمامها فى عالم الأرض المحدود بحيط أفقه ، وفى عالم السماء القائم فوق ذلك الأفق كقبة زرقاء قد زانت رقعتها تلك الكواكب المتلألئة المتنقلة فيها من طرف إلى طرف

كذلك الأذن قد سمعت الأصوات الرقيقة اللينة كحفيف الأغصان ، وتغريد الطيور ، وخرير الماء ، الأصوات الحادة المزعجة كدوى الرعد والجو مكفهر الأرجاء وكزمجرة الحيوان الوحشى المفترس وضجيج الانفجار

وأيضاً قد لمست اليد الناعم والخشن وأدرك الجسد الحر والبرد وتذوق اللسان الحلو والمر والحامض والحريف ، وهكذا وعلى هذا النحو قامت كل حاسة بأدوار وظيفتها حسب تكوينها الطبيعى .

على العنانى

العاطفة والتفكير

للاستاذ احمد فؤاد الاهوانى

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية الأميرية

التفكير هو الظاهرة النفسية التى بها يمتاز الانسان عن باقى الحيوانات ، ولذا قيل فى تعريفه « الانسان حيوان ناطق » أى مفكر . ولكن كثيرا من الناس لا يفكرون التفكير الصحيح . بل يتركون أنفسهم لظروف الحياة تخضعون لها ، وتسيرهم كيف شاء لها الهوى . أولئك القوم لا يختلفون كثيرا عن الحيوانات التى تعيش مسيرة لا تعلم من أمرها شيئا . أما التفكير الصحيح فهو حسن التصرف فى الأمور التى تعرض فى حياة الانسان فيزنها بالميزان الصحيح ، ويقدرها حق قدرها ، ثم يرسم من الخطط والحيل ما يؤدى إلى الخروج من المآزق ، والتخلص من المشاكل ، والحيلة فى ذلك ليست سهلة يسيرة ، بل قد يوفق الانسان حينا ، وقد يخفق حينا آخر ؛ وقد يكون مصيبا فى تفكيره آنا ، ومخطئا آنا آخر ؛ فما هى العوامل التى تؤدى إلى هذا القصر فى الفكر ؟ وما هى العوامل التى تؤدى إلى الفشل فيه والانصراف عنه ؟ .

وعامل مهم من هذه العوامل يؤثر تأثيراً كبيرا فى التفكير ، هو العاطفة . ذلك أن حياة الانسان لا تخلو من العاطفة بحال من الأحوال ، ولكنها تختلف من شخص إلى آخر . والعاطفة هى ميل نفسانى يتجه به الشخص نحو العالم الخارجى ، ويشمل الأشياء الموجودة فيه — سواء أكانت مادية أو معنوية — بهذه العاطفة . وللعاطفة أثر كبير فى سلوك الانسان ، وإذا كانت قوية أدت إلى أداء الأعمال الجليلة ، ولها كذلك أثر فى حياة الانسان الفنية ، وفى أخلاقه الانسانية . وكل هذا السلوك ، أو قل أى سلوك لا ينشأ إلا عن التفكير أولا ، وعلى قدر الفكرة التى تستقر فى الذهن ، على قدر العمل الذى ينتج بعد ذلك

وأثر العاطفة فى التفكير يتناوله فى ثلاث نواح ، فهى تؤدى إلى حسن التفكير ، وإلى التحير ، وإلى الخطأ

والإنسان حين يعطف على شيء ، ينصرف إليه ، وتختلط نفسه به ، ويكون دائم الصلة به ، فيشغل من حياته جزءاً كبيراً ، ويوليه أكبر العناية والاهتمام ؛ كالكبير تدور حياته على الخمر ، والبخيل على المال ، والعالم على العلم . لذلك تتفتح النواحي المختلفة للشيء أمام بصر صاحب العاطفة ، إذ يكون دائم الانتباه إلى ما يعطف عليه ، تتضح الحقائق المتصلة به في ذهنه ؛ ومن هنا يحسن الفهم والتصرف ، لأن التفكير فيهم وتصرف : فالبخيل الذي تدور حياته على المال ، ويصرف الوقت كله وراء البحث عن المال ، يعرف أغلب الحقائق الاقتصادية ويحسن فهمها ، وإذا عرضت له مشكلة مالية أحسن التصرف فيها ، وابتدع لها الحلول الموفقة حتى تزيد ثروته ويتكدس ماله : كذلك العالم يحسن فهم الحقائق العلمية وحل المشاكل العلمية ويخترع المخترعات التي تفيد العلم . وإنك لتجد « نيوتن » كان ينسى نفسه لشدة اندماله إلى التفكير في المسائل العلمية ، ولم يكن ليصل إلى اكتشاف قانون الجاذبية لولا عاطفته الشديدة نحو العلم . كذلك كان حال « مدام كوري » التي اكتشفت عنصر الراديوم ، ما هو لعمري السر الذي صرف هذه المرأة عن مباذج الحياة ، وجعلها تحبس نفسها آناء الليل وأطراف النهار في المعامل العلمية ؟ إنها دون شك العاطفة العلمية ، وكان العرب قديماً إبان نهضتهم وقوتهم مثل ذلك ؛ يحكى عن (ابن رشد) أنه لم يدع النظر والقراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة عرسه ، وأنه سود نحو صنف وقيد واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة

ولكن هذا الانصراف إلى ناحية واحدة تعطف عليها وتكرس لها حياتك ، يجعلك تزيد في تقديرك لها ، وتغلو في وزن قيمتها ، وتضعها في غير موضعها الصحيح ، ومن هنا ينشأ التحيز . ولذا كان القاضي لا يستطيع إبداء حكم صحيح إذا كان على صلة بأحد الخصوم . أو بعبارة أخرى بينهما عاطفة صداقة ، ولذا يرد القاضي نفسه عن الحكم ، لأنه لا يستطيع أن يخلص نفسه من هذا التحيز . ونجد المؤرخين من العرب يتحيزون للعربية وغيرهم من الفرنجة يحطون من شأن العرب وهكذا .

والتحيز هو انصراف الذهن إلى ناحية واحدة من نواحي الموضوع مع غض النظر عن باقي النواحي التي قد يكون لها أثر في الحكم النهائي على الموضوع

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ذلك أن عين الرضا ، وهي عين الحبيب ، لا تبصر إلا المحاسن ، لأن انتباه صاحبها موجه إلى البحث عن تلك المحاسن ؛ دون أن ينتبه إلى المساوىء ؛ إذا مر بصره على سيئة لا يكون عنده من الفراغ ما يجعله يهتم ببحثها وتقديرها

وإذا كان التحيز من شأنه أن يقلل من قيمة بعض الأشياء ويرفع من قيمة بعضها الآخر ، فأن العاطفة قد تؤدى فى بعض الأحايين إلى أكثر من هذا أى إلى الخطأ الصريح وذلك بقلب الحقائق ووضعها فى غير موضعها . فهذه فرنسا تلقى تبعة الحرب العظمى على ألمانيا ، وألمانيا تلقيها على فرنسا ، فأيهما الصحيح ؟ وقد نستطيع أن نفهم الخطأ فى العلوم الاجتماعية والأدبية والسياسية لأنها علوم تقديرية ، ولكن كيف نفهم الحقائق العلمية التى نخطىء فيها ، وهى المستقلة عنا ، الواحدة بالنسبة لجميع الناس ؟ . حينما اخترع جاليليو التلسكوب لرصد النجوم والكواكب ، وقال إن الأرض هى التى تدور حول الشمس لا العكس ، هدده رجال الكنيسة بالحرمان والاضطهاد إذا لم يتراجع عن آرائه ويحطم تلسكوبه ، ولم يكن ذلك إلا لتأصل العاطفة الدينية العميقة فى نفوس رجال الدين

والواقع أن أثر العاطفة فى خطأ التفكير يكون عند عامة الناس والجهال أشد منه وأبعد من المتعلمين ، لأن هؤلاء لهم من ثقافتهم ومن شخصيتهم القوية مايجعلهم لاينقادون إلا للحقيقة فى ذاتها بينما الجاهل يعتقد ويؤمن عن طريق العاطفة والانقياد الأعمى دون التبصر والفكر الصحيح . وهذا هو السر فى أن العامة كثيرا ما ينقادون ويجرون وراء الخرافات والأوهام دون أن يعتقدوا ويؤمنوا بالعلم الصحيح

* * *

ماذا نستطيع أن نستفيد من هذا يامعشر مدرسين تعنى بمهنتنا ، ونود النجاح فى إخراج طلاب يكونون عماد الوطن ؟

إن المدرس الناجح ، الذى يحسن التفكير فى موضوع دروسه ، وكيفية علاج طلبته والوصول بهم إلى ذروة المجد ، هو المدرس الذى يحب فنه ، ويشتغل به قلبه ، ويلقى من نفسه حيزا كبيرا ، وقبولا عظيما ، وحينئذ لا ينى عن التفكير فى مصلحة الطلاب ، ومصلحة العلم ، وفقنا الله إلى النجاح

أحمد فؤاد الاهوانى

آثار تربية المرأة فى رقى الأمم - ٢

للاستاذ عبد الغني السيد

مفتش المعارف بدائرة نجع حادى

أبنّا فى مقالنا السابق أن الأمم بالرجال والرجال بالأمهات ، ولستم تحتاجون أيها القراء الكرام فى صدق قضيتى إلى برهان أكثر من نظرة صغيرة إلى ابناء الطائفة الجاهلة ببلادنا وما نراه ونسمع به فى القرى وفى كثير من البيوتات بالمدن من أن الأم تترك ابنها قذرا يتساقط عليه الذباب حتى يصير مرعى خصيبا لجراثيم الفتاكة والأوبئة القتّالة حوما عليه من عين تصيبه ورمحة به من سهام الحاسدين .

تبّا لها وتعسا لجهلها ! تضره حيث تريد نفعه وتقتله حيث تشاء حياته ، وما عرفت أن بطن الأرض خير له من ظهرها ، وأن الموت أفضل له من حياة طعامها وشرابها الدواء ولباسها لفائف الطبيب .

انظروا يرعاكم الله إلى المرأة الغربية كيف تعنى بتربية أبنائها حتى يخرجوا رجالا عاملين على رقى أمتهم فيكونوا عنوان مجدها وموضع فخرها ورمز آمالها . انظروا إلى ما كانت تقوم به من جلائل الأعمال فى الحرب العالمية الكبرى . فمن ذا الذى كان يدير المعامل والمصانع ؟ بل من كان يدير دفة البرق والبريد ؟ بل من كان يقوم بتمريض الجرحى ومداواة المرضى ؟ بل من كان يشاطر الرجل ويقف معه جنبا لجنب وكتفا لكتف ؟ لا شك أنها المرأة الغربية التى تربت تربية حسنة فجابت كل فج ، وانتجعت كل روض وألفت دلوها فى كل حوض ، فخطت بأمتها خطوات شاسعة ، ونهضت بها نهضة مباركة حتى رفعت لواء مجدها وبنت شامخ عزها ، وأكسبتها السؤدد والفخار .

فبينما ترى المصرية الجاهلة تربى الجبن والخوف فى ولدها ، فتقول له إذا عثرت رجله فبكى (اسكت « البعبع ») إذ ترى الغربية تربى فيه الشجاعة والجرأة فتقول له « be a man »

كن رجلا ـ وهكذا تتنهز الفرص لغرس الأخلاق الفاضلة والسجايا الطاهرة حتى يشب مثلا حسنا

تمتاز المرأة عن الرجل بكفاءتها فى القيام بأجل الأعمال وأشدها خطرا ، فلها سلطان قوى وتأثير شديد فى الأوقات المحفوفة بالأخطار ، تهدئ النفوس الثائرة وتسكن القلوب الجامحة

فى الجزائر سليمان توجد امرأة تاجر وهى فتاة من لندن طالما مثلت وقوع الجازر فى القرى بمجرد ذهابها إلى ميدان النزاع ولو أقدم رجل أبيض على التغول فى قرية منها وقت تأجج نيران الاضطراب لمزقه الهمجيون شر ممزق ولقطعوه بالحراب إربا إربا ـ وقد حدث مرة فى (عينا الجديدة) أن زوجة أحد المبشرين الغربيين منعت المتوحشين الذين كانوا يأكلون بنى آدم من مهاجمة إحدى القرى بعد أن أحقق زوجها ورجال آخرون وقد تمكنت هذه السيدة من منع أولئك المتوحشين والحصول على تعهد منهم بالأقلاع عن أكل اللحوم البشرية وشن الغارات ـ وقد أنجزوا تعهدهم فلم يعودوا إلى شىء من ذلك فيما بعد

وعلى مضيق تورويس قبائل متوحشة تعد من أحط الطبقات فى العالم ، وكانت امرأة غربية هى السبب فى نقل هذه القبائل إلى الحضارة والمدنية ـ ولو أقدم رجل على هذه المهمة لتعرض لأشد الأخطار ولساق نفسه إلى حتفه بظلفه ، ولكنها كانت هناك فى مركز القضاء وعاشت سنوات عدة حلت من قلوبهم أمنع مكان ، وتبوأت من نفوسهم أسمى منزلة .

والحق يشهد أن نساءنا لو تربين كما تربت الغربيات لكان لأمتنا أعظم قسط من الرقى وأوفر نصيب من الحضارة والتقدم .

ولا أذهب بعيدا فهاهى المرأة العربية ايام الجاهلية وبعد الأسلام قد بلغت من الشجاعة والجرأة شأوا بعيدا ، ومن العزة والأخلاق الفاضلة مرتبة سامية ، كانت لها منزلة لم تكن لأخواتها فى هذا الوقت ، فكانت القبائل إذا تحاربت تصطحب نساءها معها لتملأ قلوب الرجال حماسة وإقداما ، وتداوى جرحاهم فكان الرجل لا يألو جهدا فى اقتحام الأخطار ولا يدخر وسعاً فى خوض غمرات القتال غيرة على نسائهم أن تسبى ، وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
يفكن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

ومن ذلك أنه لما ولى معاوية الخلافة وانتظمت إليه الأمور واستتب نظام الملك ناقش ليلة خواص أصحابه فى وقائع صفين التى كانت بينه وبين سيدنا على ، فخاضوا فى الحديث وقال أحدهم : إن أمرأة من أهل الكوفة تدعى « الزرقاء » بنت عدى كانت تحرض الصدور وتحرض الجنود وتقف بين الصفوف تستحث أصحاب على بكلام لو سمعه الجبان لأقدم ، والمدبر لأقبل والفار لكر ، والمضطرب لاستقر . فقال لهم معاوية فما تشيرون على فى تلك المرأة ؟ قالوا إن

تقتلها فأنها أهل لذلك . فقال معاوية بئس ما رأيتم وقبحاً لما أشرتم، أيحسن بي بعد ما ظفرت أن أقتل امرأة وفت لصاحبها ؟ إني إذاً للئيم ! والله لا فعلت ذلك أبداً . وجدير بمن يغشى مجالس الملوك أن يمسك إلا عن رأي سديد أو قول صائب . ثم كتب إلى واليه بالكوفة أن يبعث بها فلما حضرت قال لها : هل تعلمين لم بعثنا إليك ؟ قالت لا يعلم الغيب إلا الله ! فقال لها ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت تحثين الأبطال وتحرضين على القتال ؟ قالت نعم !

فقال وهل تحفظين ما قلته يومئذ ؟ قالت لا وأبيك ! فقال لها ألم تقولي : « أيها الناس إن المصابيح لا تضيء في الشمس ، والكواكب لا تنير مع القمر ، والبغل لا يسبق الفرس ، النزال النزال ، القتال القتال ، ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ، فأتوا الحرب غير ناكصين ، فهذا يوم له ما بعده ؟ » ألم تقولي ذلك ؟ قالت نعم قال لها وما الذي حملك على ذلك إذن أنت شاركت علياً في كل دم سفكه ؟

فقالت والبشر يملأ فؤادها ـ حقق الله بشارتك يا أمير المؤمنين ـ منك من يبشر بخير ويسر جليسه . فقال أو قد سرك ذلك ؟ قالت نعم فقال والله إن وفاءك لعلي بعد موته لأعجب من حبك له في حياته . فاذكري حوائجك فقالت آليت على نفسي ألا أسأل أحداً بعد علي قال لها قد أشار علي بعض من عرفك بقتلك . فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته في اللؤم . فقال كلا بل نعفو عنك ونحن إليك . وردها إلى بلدها معززة .

فانظروا أيها القراء كيف كانت جرأة المرأة العربية وكيف كان وفاؤها . على أن هذا مثال من أمثلة عدة ودونكم مثلاً صالحاً لوفاء المرأة :

تزوجت امرأة عربية تسمى أم عقبة ابن عمها غسان ـ وكان يحبها حباً ملك عقله وفؤاده ـ وكلما تذكر أنه سيموت في يوم ما ويتركها لغيره مات كمداً وحسرة . وفي يوم من الأيام مرض مرضاً شديداً وظن أنه مفارق الدنيا فأحضرها . وقال لها اسمعي ثم أجيبي . فقد تاقت نفسي إلى أن أسألك عن نفسك بعد مماتي . فقالت والله لا أجيبك بكذب ولا أجعله آخر حظي منك فقال لها :

أخبري بالذي تريدين بعدي ... والذي تضمرين يا أم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لما قد ... كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمال ومال ... وأنا في التراب في سحق غربه

فأجابته تقول :

قد سمعت الذي تقول وما قد ... يا ابن عمي تخاف من أم عقبه
أنا من أحفظ النساء وأرعاهـ ... ـن لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بنوح ... ومراث أقولها وبندبه

فلما سمع ذلك أنشأ يقول :

أنا والله رائق بك لكـــن احتياطا أخاف غدر النساء

بعد موتى الأزواج يا خير من عـــوشر فدعى حتى يحسن الوفاء

إنى قد رجوت أن تحفظى العهـــد فكونى إن مت عند الرجاء

ثم أخذ عليها العهود والمواثيق أن تحفظ وده وألا تتزوج بعده بغيره واعتقل لسانه ولم ينطق بكلمة حتى مات. فلم تمكث بعده إلا قليلا حتى خطبت من كل جهة، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها، فكانت ترد كل خطيب بقولها:

سأحفظ غسانا على بعد داره وأرعاه حتى نلتقى يوم نحشر

وإنى لفى شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلى بمن مات يغدر

سأبكى عليه ما حييت بدمعة تحول على الخدين منى فتهمر

فلما طال عليها الأمد وألحّ الناس كثيراً فى خطبتها نصحها قريب لها أن تقبل وقال لها من مات مات وتلك سنة الله فخدعت بنصيحته فأجابت بعض خطابها، فلما كانت ليلة الدخول أتاها غسّانُ فى منامها وقال لها:

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة ولم تعرفى حقا ولم تحفظى عهدا

ولم تصبرى حولا حفاظا لصاحب حلفت له بتّا ولم تنجزى وعدا

غدرت به لما ثوى فى ضريحه كذلك يفنى كل من سكن اللحدا

فلما سمعت هذه الأبيات قامت من النوم مذعورة مرتاعة وظنت أن غسان معها فكادت تجن، ودعت من كان معها من نساء الحى فقصت عليهن القصة وأنشدتهن الأبيات، فأخذن يسلينها وينسينها ما هى فيه فقالت لهن والله لا خير فى الحياة بعد غسان، ثم تغفلتهن وأخذت مدية واختفت فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها فأخذت إحدى الحاضرات ترثيها قائلة:

فلله درك ماذا لقيت من غسان قتلت نفسك حزنا يا خيرة النسوان

وفيت من بعد ما قد عمت بالعصيان وذو المعالى غفور لسقطة الانسان

إن الوفاء من الانـــسان لم يزل بمكان

تلك أمثلة نسوقها للدلالة على أن المرأة خصالا كامنة لو أحييت بالتربية والتعليم لعمّ نفعها وانتشر فضلها وكان لها أجل أثر فى رقى الأمم ونهضة الشعوب، ولذا وجهت الحكومة عنايتها إلى تعليم البنت وعرفت أن الفتاة المتعلمة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تنبت نباتا حسنا يأتى بأطيب الثمرات وأوفر الخيرات، وأنها كالزهرة تزين الحديقة وتعطر الأرجاء، وكشعاع الشمس يحيى النفوس وينعش الفؤاد، وسيأتى وقت قريب إن شاء الله نرى فيه المرأة المصرية جديرة بأن تشغل ذلك المركز العظيم وهو رياسة بيتها بجد ودراية وإدارة مملكتها بإخلاص وكفاية. وبذا تصبح مصر درة فى تاج الشرق وغرة فى جبين العالم وتستعيد ما كان لها من المجد والسؤدد فى سالف الزمان ؟